

سُورَةُ الْقَمَاتِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ
بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٦﴾

ومن الناس - اللقاء السادس: نموذج المضل عن سبيل الله

المحاضرات

محاضرة في الأردن

2022-07-25

عمان

الأردن

مقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا الأمين، وعلى آله وأصحابه أجمعين، اللهم علّمنا ما نفعنا، وانفعنا بما علّمتنا، وزدنا علماً، وعملاً متقبلاً يا رب العالمين، وبعد: مع اللقاء السادس والأخير من لقاءات -ومن الناس:-

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيَحِبُّونَ الرَّسُولَ
وَإِن مَّا جَاءَهُمْ آيَاتٌ مِّنْهُ لَيَسْتَكْبِرُنَّ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ
وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ
وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ (8)

(سورة البقرة)

منافقون.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ
لَعَذَابَ اللَّهِ لَئِنَّ لَهُ لُفُؤَةً لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ (165)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُ قَوْلَهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهَدُ بِاللَّهِ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ لِخِصَامِ (204) وَإِذَا تَوَلَّى
سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ لِحَرْثِ وَاللَّسُّ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْقَسَادَ (205)

(سورة البقرة)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَمِنَ النَّاسِ مَن يَسْتُرِي نَفْسَهُ بِبَغْيٍ مَّرْصَاتٍ لِلَّهِ وَاللَّهُ رَعُوفٌ بِالْعِتَادِ (207)

(سورة البقرة)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ طَمَأَنَّنَ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ نَقَلَتْ عَلَى وَجْهِهِ خَسِيرٌ الدُّنْيَا
وَالْآخِرَةِ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ (11)

(سورة الحج)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَمِنَ النَّاسِ مَن يَسْتُرِي لَهُوَ لِحَدِيثٍ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ يَغْبِرُ عِلْمٍ وَتَجَدَّهَا هُرُؤًا أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ (6)

(سورة لقمان)



التعميم من العمى

هذا نموذج بشري (وَمِنْ لِلنَّاسِ) من: للتبعض يعني بعض الناس، والقرآن -بالمناسبة- يعلمنا مبدأ مهماً جداً وهو **ألا نعمم**، قالوا: التعميم من العمى، فبعض الناس من غير أن ينسبه يكون في مجلس مثلاً يقول: أهل هذه البلد كلهم سارقون نصابون، فيكون في المجلس من هو من أهل هذا البلد وهو من أهل الصلاح والتقوى، فلما قال: كلهم، وقع في التعميم، التعميم من العمى، أو أهل هذه الحرفة جميعهم منافقون، كيف تعمم وهناك منهم الصالح؟! فالقرآن يعلمنا ألا نعمم يقول: (وَمِنْ لِلنَّاسِ)، ما قال: كل الناس، حتى أهل الكتاب قال:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَمِنْ أَهْلِ لِكُتَيْبٍ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدُّهُ إِيَّاكَ وَمِنْهُمْ مَّنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بِيَدْتَارٍ لَا يُؤَدُّهُ إِيَّاكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا ذَلِكَ يَأْتِيهِمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ لَكَذِبٌ وَهُمْ يَعْلَمُونَ (75)

(سورة آل عمران)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلُؤْنَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكَذِبِ لِتَحْسَبُوهُ مِنْ لِكُتَيْبٍ وَمَا هُوَ مِنْ لِكُتَيْبٍ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ
وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ لَكَذِبٌ وَهُمْ يَعْلَمُونَ (78)

(سورة آل عمران)

القرآن يعلمنا في أحكامنا ألا نصدرك أحكاماً عامة، قل: بعض، أغلب، الأكثرية، لعل بعضهم كذا، وهناك منهم الصالحون وهكذا..

لهو الحديث:

(وَمِنْ لِلنَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوً لِحَدِيثٍ يُضِلُّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ) يشتري: يعني هناك بضاعة وثمن، يشتري: يدفع الثمن ويأخذ البضاعة، فيشتري لهو الحديث: إذاً هو يدفع

اليوم يقول لك: تُقام حفلة على مسرح كذا الصف الأول (250) ديناراً (VIP)، خلف قليلاً مئتان، بالوراء بـ 100، فيشتري لهو الحديث: يدفع المال ليذهب إلى حفلة ماجنة مختلطة تُدار فيها المعاصي والآثام.

(يَشْتَرِي لَهْوً لِحَدِيثٍ يُضِلُّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ) ما لهو الحديث؟ ابن مسعود وابن عباس -رضي الله عنهم- وكثير من التابعين قال: "والله، إنه الغناء" أقسم بالله ابن عباس وهو جبر الأمة وترجمان القرآن، قبل أن تدخل بالغناء، بشكل عام لهو الحديث، ما للهو؟ غواص نزل إلى قاع البحر فوجد اللاكئ ووجد الصدف فأخذ الصدف والأحجار وترك اللاكئ، هذا النهى بالخسيس عن النفيس، هذا لهو ترك شيئاً مهماً جداً وأخذ شيئاً لا قيمة له أمام الشيء الآخر فماذا فعل؟ النهى.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
عَلَّمُوا أَنَّمَا لِحَيَوُهُ لِدُنْيَا لِعِبْتٍ وَلَهُوَ وَزِينَتُهُ وَتَفَاخُرُ بَيْنِكُمْ وَتَكَاتُرٌ فِي الْأُمُورِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ عَيْثٍ أَعْجَبَ لِكُفَّارٍ تَبَاتُّهُ ثُمَّ يَهِيحُ فَتَرْتُهُ مُصَفَّرًا ثُمَّ يَكُونُ حُطَمَاً وَفِي لَأَجْرَةِ عَذَابٍ شَدِيدٍ وَمَعْفُورَةٌ مِّنْ لِّلَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا لِحَيَوُهُ لِدُنْيَا إِلَّا مَتَّعٌ لِّعُزُورٍ (20)



اللعب ليس له هدف

اللعب: ليس له هدف، طفل صغير في الرابعة من عمره أتى له والده بسيارة صغيرة، أمسك السيارة وجعل يقودها على الطاولة، وبعد قليل السيارة تصطدم، إنه يلعب، الولد يلعب، هل هناك هدف، لا يوجد هدف ما الذي ينتج؟ لا يوجد هدف، لكن اللعب للولد مهم جداً ينبغي أن يلعب، يعني أنت تقول: هناك فائدة، الولد يلعب، يجب أن يلعب الولد حتى ينمو، لكن لما يكبر إذا نظر لنفسه وهو يلعب يصحك على نفسه إذا أتوا له بفيديو وهو صغير معجب بسيارة صغيرة، الآن السيارة المرسيديس ما عادت تعجبه، يصحك على نفسه كيف كنت أعب؟! هذا لعب.

لكنه يفعل أشد من اللعب وهو اللهو، اللهو: يجلس 4-5 ساعات خلف الشاشة أذن الظهر وأذن العنق وهو خلف الشاشة، هذا أشد من اللعب، هو يلهو بترك أشياء مهمة في الحياة الله خلقه لجنة عرضها السماوات والأرض وهو يترك الصلاة من أجل مباراة كرة قدم، أو يترك الصلاة من أجل متابعة مسلسل على الشاشة، هذا يلهو، فاللهو أشد من اللعب خطورة، فلماذا أقسم ابن عباس؟ قال: أقسم بالله إنه الغناء.

طبعاً الغناء نوعان: غناء يعتمد على الكلمة فإذا كانت الكلمة التي يُعنى بها صحيحة المعنى لا يوجد أي مانع، يعني هناك ما يسمى الأناشيد هو باللغة (أغاني) الأتنية في مدح النبي-صلى الله عليه وسلم-على العين والرأس تذكر بالله، بالآخرة:

لو أن هذا الكلام الراقى غنينا بصوت جميل ما الذي يمنع؟! بالعكس على العين والرأس، حسناً أغنية تدعو إلى مكارم الأخلاق ليست دينية بحتة لكن تدعو إلى مكارم الأخلاق، أغاني للأطفال تحبهم بالعلم، بالخير تحبهم تعلمهم مفردات اللغة الإنجليزية على العين والرأس، لا يوجد مانع، الكلمة الصحيحة لا يوجد أي مشكلة، أغاني في حب الوطن والدفاع عن المقدسات، أغاني في حب الأقصى والدفاع عن فلسطين على الرحب والسعة فحسنة حسن و قبيحة قبيح المعتمد هو الكلمة، أما الكلمة التي تثير الغرائز وتدفع الإنسان إلى الشهوات والنظر الحرام، وتثير فيه الغزل الفاحش والتعني بجسد المرأة والحب والغرام الذي خارج إطار الزواج؛ هذا هو الغناء الذي هو لهو الحديث، وهو معظم الغناء الموجود اليوم -للأسف-هذا لهو الحديث لأن الكلام فيه يدعو إلى الباطل.

حركة الإنسان في الحياة:



حركة الإنسان تحكمها ثلاث كلمات

بالمناسبة إخواننا الكرام؛ كل حركة الإنسان في الحياة يحكمها ثلاث كلمات: إدراك، انفعال، سلوك، كيف؟ أنت تمشي في غايه، ظهر نعيان مخيف لَمَّا نظرت إليه وتأكدت أنه نعيان حقيقي قريب منك أدركت هذا إدراك، الانفعال أو الوجدان ما تجده في نفسك بعد الإدراك إنسان يرى نعياناً يجد في نفسه خوفاً، يفرح هذا اسمه انفعال، السلوك يهرب وربما يهجم، لكن لا أحد يهجم (الهرب ثلثا المراحل) الكل يهرب، فأدرك الخطر وجد الخوف، تحرك بالهروب.

وجد شيئاً يلمع تأكد فإذا هو لؤلؤة ثمينة، فرح أوجه والتقطها إدراك انفعال سلوك، كل حركة الإنسان في الحياة.

ربنا -عز وجل-من رحمته بنا يحاسبنا على السلوك لا يحاسب على الانفعالات، كيف؟ إنسان رأى شيئاً ثميناً جداً ليس له، مبلغ مالي موضوع على الطاولة وهو ليس له، أدرك أنه مبلغ مالي، بعد أن أدرك صار هناك انفعال رغب أن يأخذهم، الإنسان يرى المال والمال محبوب.

رُبَّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِصَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْخَيْرِ ذَلِكَ
مَتَّعَ الْحَيَوَةَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ (14)

(سورة آل عمران)

الله زين (مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِصَّةِ) فهذا صار معه انفعال رغبة لحد هنا لا يوجد حساب، إذا ضبط رغبته وامتنع بأخذ ثواباً؛ لأنه ما أقدم مع أنه كان بإمكانه يأخذ المبلغ ولا أحد يدري، متى الله يحاسبه؟ إذا سلك وأخذ المبلغ ووضعه في جيبه وهو ليس له ووضعه في جيبه، الآن يُحاسب، لذلك يقول -صلى الله عليه وسلم-:

{ إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ تَجَاوَزَ لِأُمَّتِي عَمَّا حَدَّثْتُ بِهِ أَنْفُسَهَا، مَا لَمْ تَعْمَلْ، أَوْ تَكَلَّمْ بِهِ. }

(صحيح مسلم عن أبي هريرة)

يعني إذا تكلمت هناك حساب على الكلام إذا عملت هناك حساب، أما أنا كنت منزجاً جداً من فلان، حسناً هل صرته؟ لا تحاسب على انزعاجك منه.

أحياناً بعض الناس يقول لي: والدي كان جداً قاسياً معنا -حالات نادرة موجودة- للأسف- فيقول لي: أنا لا أجد في نفسي حياً له أبداً، قلت له: حقك، يعني يروي لي من تفاصيل ما فعل والده معه -شيء عجب- ما يستطيع أن يحبه، أقول له: الله لن يحاسبك على أنك تحبه أو لا تحبه، لكن سيحاسبك على أنك تبتّه أو لا تبتّه، يقول لي: لا والله أنا إذا أمرني أطيعه وإذا أراد شيئاً أحضره له، لكن أنا في القلب لا أجد له محبة، أقول له: الله لا يحاسبك على الانفعال، الله يحاسب على السلوك إلا-و دققوا الآن- لأنها مهمة جداً إلا في قضية النساء تحديداً و شهوة المرأة لأنها خطيرة جداً، يقول-صلى الله عليه وسلم-:

{ مَا تَرَكْتُ بَعْدِي فِتْنَةً أَصْرَّ عَلَى الرَّجَالِ مِنَ النِّسَاءِ }

(أخرجه البخاري ومسلم عن أسامة بن زيد)

إلا هذه الشهوة فإن الله يضبطها لك من مرحلة الإدراك من الرقم واحد (number one) من الألف إلى الباء (a-to-z) يضبطها، فيقول لك: غض بصرك، حسناً يا رب: أنا لا أصل للزنا، أنا أعرف نفسي، لا غض بصرك، أنا أسمع أغاني تحصل معي شهوة وأشعر بالحب والغرام، لكن لن أفعل شيئاً، لا، أنا أخلو ببعض النساء لكن ما أفعل شيئاً معهن.

{ أَلَا لَا يَخْلُونَ رَجُلٌ بِأَمْرَةٍ إِلَّا كَانَ الشَّيْطَانُ ثَالِثَهُمَا }

(أخرجه الترمذي وأحمد عن عمر بن الخطاب وصححه ابن حبان والحاكم)

لا تغلق الباب دع الباب مفتوحاً، إنه يغلق المنافذ من مرحلة الإدراك لماذا؟ لأن هذه الشهوة تحديداً دراماتيكية حركية فما إن تبدأ بالخطوة حتى تقودك إلى الخطوة التي بعدها والتي بعدها.

ولو افترضنا جداً أن إنساناً لم يقده النظر إلى الزنا، بل بقي في مرحلة النظر الحرام ولم يقده إلى الزنا أو لم تقده الخلو إلى الزنا -فرضاً- مع أن معظم الناس يقودهم ذلك، فيكفي أن القلب ينشغل عن الله، يعني القلب عندما تعلق بالغناء الفاحش وبالنساء الماجنات وبدور اللهو والاختلاط، عندما يتعلق لن يبقى مكان للتعلق بالله تعالى هذه تكفي وحدها، فلذلك سد المنافذ من أولها.

لهو الحديث: بمعنى الغناء الماجن والفاحش هو سدُّ لمنافذ الوصول إلى الوقوع في الفاحشة والحرام، (وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ لَحْدِيٍّ يُدْفَعُ مَالًا مِنْ أَجْلِ مَجَالِسِ اللّهُوِّ وَالطَّرَبِ).

الإضلال عن سبيل الله:



السبيل هي الطريق التي توصل إلى الله

أجابنا الكرام، قال: (وَمَنْ لِلنَّاسِ مَنِ يَشْتَرِي لَهْوً [لِخَدِيثٍ] لَمْ يَلْمِ التَّعْلِيلَ [لِيُضِلَّ عَنِ سَبِيلِ اللَّهِ بِعَيْرِ عِلْمٍ] سبيل الله: أي الطريق الموصلة إلى الله، السبيل هي الطريق التي توصل إلى الله، ما الطريق الموصلة إلى الله؟ كتاب الله تعالى وسنة رسوله -صلى الله عليه وسلم- الأتباع بما أمر والانتهاه عما نهى عنه وزجر، إتيان فرائضه واجتناب محارمه.

{ أَنْ رَجُلًا سَأَلَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: أَرَأَيْتَ إِذَا صَلَّيْتُ الصَّلَوَاتِ الْمَكْتُوباتِ، وَصُمْتُ رَمَضَانَ، وَأَخَلَّيْتُ الْحَلَالَ، وَحَرَّمْتُ الْحَرَامَ، وَلَمْ أَرِدْ عَلَى ذَلِكَ شَيْئًا، أَدْخُلُ الْجَنَّةَ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: وَاللَّهِ لَا أَرِيدُ عَلَى ذَلِكَ شَيْئًا { (أخرجه مسلم عن جابر بن عبدالله)

الرجل يريد مكاناً بالجنة في المرتبة الدنيا ما دمت أدخل الجنة انتهينا، صلاة وصيام، عبادات الفرائض الحرام حرام والحلال حلال، هذه ليست سهلة طبعاً يعني يقول أحدهم: والله لا أريد.

يعني حرّم الحلال وحلّل الحلال فما الذي بقي؟! وطبعاً إذا وقع بالحرام تاب إلى الله، فإذا طريق الله هو أن تحرّم الحرام وأن تحلّل الحلال هذا الطريق سبيل الله.

قال: (لِيُضِلَّ عَنِ سَبِيلِ اللَّهِ) يُضِلُّ ليس هو يضل، ما قال ليضل، قال: لِيُضِلَّ أي لِيُضِلَّ الناس عن سبيل الله، هو لم يكتف بنفسه لكنه يدعو الناس ويبيدهم عن الحق، إنسان يقول لك: أنا لم أفعل شيئاً أنا مالك هذه القناة والقناة ليلاً نهاراً معاصي وأتأم وفجور وخمور ودعوة للمنكرات، كل من يضل عن سبيل الله بسبب القناة فهو في صحيفته، وإذا إنسان وضع صورة ماجنة على صفحته على الفيس بوك هذا يضل عن سبيل الله صورة سيئة جداً، قال لك: أنا ما فعلت شيئاً أنا وضعتها الناس نظروا، أنت تضل الناس عن سبيل الله.

فينبغي للإنسان أن ينتبه، لا أبالغ إذا قلت: مئة معصية يعصيها الإنسان بينه وبين ربه أهون من معصية يدعو الناس فيها إلى الفجور؛ لأن ما كان بين الإنسان وبين الله يتوب منه بلحمة -والصلحة بلحمة- أما ما كان بينه وبين دعوة الناس إلى المعاصي والآثام، فإنه كلما نظر ورأى الناس يفعلون ما أمرهم به أو ما دعاهم إليه سيئشعر بالندم والخزي، لن يسامح نفسه. فلذلك نقول: إياك أن تضل الناس عن سبيل الله، لو وقع الإنسان في المعصية أن تكون معصية فردية وليس فيها دعوة للناس للبعد عن الله -عز وجل-.

الإضلال عن سبيل الله بغير علم:



من بديهيات التجارة أن تريح

قال: (لِيُضِلَّ عَنِ سَبِيلِ اللَّهِ بِعَيْرِ عِلْمٍ) الضلال عن سبيل الله وإضلال الناس عن سبيل الله ليس له مستند علمي أبداً يعني كيف بغير علم؟ يعني لو أن تاجراً وله عشر سنوات في التجارة واشترى بضاعة بعشرة وباعها بثمانية هل هذا عنده علم بالتجارة؟! بديهيات التجارة أن تريح أو على الأقل ألا تخسر من رأس مالك، لكن لما يشتري ويبيع بخسارة فهذا ما عنده علم، فالذي يشتري لهو الحديث ويترك القرآن الكريم ويترك السنة والحق ويترك مجالس العلم ويذهب إلى مجالس اللهو هذا أسوأ من التاجر الذي اشترى بعشرة وباع بثمانية؛ لأنه ترك الآخرة بما فيها من نعيم مقيم واتجه إلى اللهو.

(وَمَنْ لِلنَّاسِ مَنِ يَشْتَرِي لَهْوً [لِخَدِيثٍ لِيُضِلَّ عَنِ سَبِيلِ اللَّهِ بِعَيْرِ عِلْمٍ وَتَجَدَّهَا هُرُؤًا] هُرُؤًا: سخرية هُرُؤًا يستهزئ يتخذ ماذا هُرُؤًا؟ سبيل الله، ويتخذها سبيل الله لأن سبيل الله تذكر وتؤت والأفصح تأنيهاً.



الإعراض عن سماع الآيات عناداً للحق

تتلو عليه الآيات التي تمنعه من خوض هذه الأمور التي تلهيه عن طاعة الله -عز وجل- وتبعده عن الحق، (وَلَيْ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا) وَلَّى: أعرض تركك ومشى، لكن تركك لا لأنه جمل بنفسه، بل أعرض لأنه يستكبر عن سماع الآيات، والله -عز وجل- له آيات كما قلنا في القرآن الكريم، وله آيات في الكون يعني قد تقول له: انظر إلى خلق الله العظيم، انظر إلى آيات الله في أفعاله، كم من قرية كانت ظالمة فأهلكها الله لكنه (وَلَيْ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا) يعني عناداً واستكباراً عن الحق.

أول معصيتين عُصي الله تعالى بهما في الأرض: الأولى من إبليس، والثانية من آدم، أول معصيتين في الوجود: الأولى كانت من إبليس لم يقبل السجود لآدم -عليه السلام-:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ (34)

(سورة البقرة)

الثانية كانت من آدم -عليه السلام- لما أكل من الشجرة.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَلَقَدْ عَاهَدْنَا آلَ آدَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيْنَا وَلَمْ نَجِدْ لَهُمْ عَزْمًا (115)

(سورة طه)

أي لم نجد له عزمًا على المعصية، ما كان عازمًا على المعصية لكن ما خطط هو، ما خطط للمعصية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِينٌ ۖ فَتَضَوَّعَا فِي الْأَشْجَارِ فَذَلَّلَهُمَا فُجُرُورٌ ۚ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَ بَدَا لَهُمَا سُوءُ مَا كَانَا يَفْعَلُونَ ۖ فَخَصِمَا ۖ إِنَّهُمَا بِمَا كَانَا يَفْعَلُونَ كَاذِبِينَ (21)
لَقَدْ جَاءَهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمٌ أَنَّهُمَا عَن تَلْكَمَا الشَّجَرَةَ وَأُفٍّ لَّكُمَا ۚ إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ (22)

(سورة الأعراف)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةٍ لُحْدٍ وَمُلْكٍ لَا يَبْتَلَى (120)

(سورة طه)

(فَتَنِيصِي وَلَمْ تَجِدْ لَهُ عَزْمًا) فما كان عازماً على المعصية لكنه فعلها، إبليس لأنه عصى الله مستكبراً هو إبليس اللعين إلى يومنا هذا، وهو أول من تسعّر به نار جهنم -والعياد بالله- وآدم:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (37)

(سورة البقرة)

قال له: يا رب تبتُّ إليك، ظلمت نفسي فاغفر لي فغفر له، لذلك أَلَفَ معصية غلبة وضعف، ولا معصية واحدة استكبار، أَلَفَ معصية فيها غلبة نفس وانكسار لله: يا رب، والله ضعفت نفسي سامحتني يا رب.
ولا يعصي الإنسان ربه معصية واحدة ويقول: وماذا فعلنا؟! أنتم جماعة الدين تشددونها كل شيء حرام وحرام، كفى ليس فيها شيء، ماذا عملنا؟! معاصي الغلبة، يقول ابن عطاء الله السكندري-رحمه الله-: "رَبِّ مَعْصِيَةٌ أَوْرَثَتْ ذَلًّا وَانْكَسَارًا خَيْرٌ مِنْ طَاعَةٍ أَوْرَثَتْ عِزًّا وَاسْتِكْبَارًا".
يعني تخيلوا أن إنساناً صلى واستكبر، وإنسان أطلق بصره وندم واستغفر الثاني أفضل؛ لأن الله يريد قلوبنا أما إذا كان هناك استكبار واستعلاء، أنا دفعت مالاً للفقراء، أنا ساعدت، أنت لحم أكتافك من خيري -والعياد بالله- هذه معصية أكبر من أن يعصي الإنسان ربه وينكسر، ويقول: يا رب تب عليّ.

جزاء المعرض عن آيات الله تعالى:

لذلك هذا (وَإِذَا تُلَىٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا) قال: (فَتَبَشِّرُهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ) البشري تكون بالعذاب أم بالخير؟ البشري بالخير.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ فَأَدْلَى دَلْوَهُ قَالَ يُبَشِّرُكَ هَذَا عِلْمٌ وَأَسْرُوهُ يَضَعَةٌ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ (19)

(سورة يوسف)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
فَتَبَشِّرُهُ بِعِلْمٍ خَلِيمٍ (101)

(سورة الصافات)



اللَّهُ يكون محرماً بذاته

هنا فبشره بعذاب، هذا على سبيل التهكم والسخرية زيادة في الإهانة لأنه كان يضل الناس عن سبيل الله، تهكم، كيف تهكم؟ إنسان عطشان عطشان كثيرًا، في السجن، ويريد ماءً والسجان لا يحضر له ماءً، أمر صعب -نسأل الله السلامة- عطش ثم جاء له السجان بكأس ماء فسبر سرورًا عظيمًا، فلما أمسكها ووضعها على فيه ضربها السجان فكسرها؛ الثانية أصعب من الأولى بعد أن بشر ظهر أسوأ مما لو لم يبشر فالتهمك هو أن **(فَتَبَشِّرُهُ بِعَذَابِ أَلِيمٍ)** -والعياذ بالله- هذا التهكم في اللغة فهذا من باب التهكم **(فَتَبَشِّرُهُ بِعَذَابِ أَلِيمٍ)**.

هذا صنف من الناس- نسأل الله السلامة- هذا يضل الناس عن سبيل الله ليتابع اللهو والغناء والفحش والمعاصي والآثام ومجالس الخمر كل شيء فيه لهو، يعني نحن لا نريد أن نخصصها بالغناء لكن جئنا بالتفسير بالمأثور الغناء الفاحش من اللهو، الكلمات الفاحشة من اللهو، لكن هناك لهو بكل أنواع اللهو، إنسان جلس يلعب النرد للفجر، هذا لهو أم غير لهو؟! إنسان جلس مع عائلته يتودد لهم هذا لهو؟! لا، هذا طاعة لله عبادة، إنسان ذهب للملعب يلعب بوقت بين الظهر والعصر ما فاتته الصلاة لكن ذهب يلعب كرة قدم مع رفاقه ينوي بها التقوي على طاعة الله و الترفيه عن نفسه لهو؟! لا ليس لهو يوجد فائدة. لكن متى يكون لهو؟ حينما يكون محرماً بذاته هو محرّم، أو يكون حلالاً لكنه يلهيك عن فرض، يعني لعبة كرة قدم حلال لكن إذا كانت بوقت الصلاة وأذن وفانت الصلاة ولم تقف صارت حراماً لغيرها، أما النرد حرام ولو لم يلهه عن الطاعة هو حرام، حرام بذاته ولو كان قبله ركعتان وبعده ركعتان صلاة لأنه محرّم، فهناك محرّم لذاته ومحرّم لغيره، هذا صنف من الناس.

نموذج المؤمن بالله بلسانه:

الصنف الأخير من أصناف الناس وبه نختم هذه المجموعة من اللغات، قال تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةً لِلنَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ وَلَئِن جَاءَ تَضَرُّعًا مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولَنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ أَوْلَىٰ إِنَّ اللَّهَ لَءَاغَمٌ بِمَا فِي صُدُورِ الْغَالِمِينَ (10)

(سورة العنكبوت)

(وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ) يقول بلسانه لكن لم يدخل الإيمان قلبه، إشارة إلى أنه يقول، يقول: آمنا، كل إنسان يقول: آمنا بالله، لكن يوجد فرق بين يقول وبين آمن، لله تعالى عندها يخاطب المؤمنين لا يقول: يا أيها الذين قالوا آمنا، يقول، يا أيها الذين آمنوا يعني آمنوا حقيقة، أما يقول فسهلة **(وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةً لِلنَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ)** ما معنى أُوذِيَ فِي اللَّهِ؟ يعني بعد إيمانه واستقامته على أمر الله جاءه مرض، ذهب بعض ماله، توفي قريبه، تعرض لمضايقات بسبب إيمانه لأنه يصلي، سُجن مثلاً إذا كان في بلاد تعاقب على التدين -فرضاً- وهذا موجود **(فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةً لِلنَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ)** يعني في سبيل الله جعل فتنة الناس كعذاب الله كيف جعل فتنة الناس كعذاب الله؟ سؤي بينهما، هل يسؤي بين عذاب الله وعذاب الناس؟ مستحيل، لماذا؟ عذاب الناس مؤقت، عذاب الله مستمر، عذاب الناس على قدر من يعذب، ماذا يملك من يعذب إنساناً؟ أقصى شيء يملكه أن يقتله، إذا كان المعذب هو الله.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
فَيَوْمِذٍ لَا يُعَذِّبُ عَذَابَهُ أَحَدٌ (25) وَلَا يُوثِقُ وُتَاقَهُ أَحَدٌ (26)

(سورة الفجر)

فتنة الناس وعذاب الله:

فمن الجهل أن يسؤي الإنسان بين فتنة الناس وعذاب الله، كيف سؤي بينهما؟ لما أصابته فتنة الناس ترك دينه، لما جاءه مرض ترك الدين، لما فقد ماله ترك، لما سُجن من أجل أنه متدين ويصلي ترك دينه، ونزلت هذه الآية في بعض كفار مكة الذين كانوا يسلمون فإذا أصابهم الأذى تركوا دينهم.

(جَعَلَ فِتْنَةً لِلنَّاسِ) الفتنة هي الامتحان، **(جَعَلَ فِتْنَةً لِلنَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ)** سؤي بينهما هذا من الجهل، عند الله جهنم إلى أبد الآبدين، ماذا يملك أن يفعل لك هذا الإنسان حتى تترك دينك من أجله؟

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مِنْ أَكْثَرِ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ عَذَابٌ مِّنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (106)

(سورة النحل)



الفتنة هي الامتحان

هذا أمر آخر، أحياناً الإنسان بسبب الفتنة يُظهر كفرةً لكن في داخله إيمان هذا مستثنى لا علاقة له، لكن إنسان يترك الدين يقول لك: أخي إنهم يحاسبوننا و صار التدين تهمة، كلما أحدهم دخل الجامع يخرج يصلي يستدعونه؟ لماذا تصلي؟ وأنت ملتزم وتدفع زكاتك وأنت و أنت، واليوم إذا تكلمنا ضد الشاذين مشكلة بهذا البلد، وإذا تكلمنا ضد الربا مشكلة ببلد آخر!

(قِيَادًا أَوْ ذِي فِي اللَّهِ) ستعرض لإيذاء، المسلم يتعرض، ربما يدخل يرفض الجلوس على طاولة فيها خمر - فرصاً يُدار عليها الخمور يرفض فترفض الشركة - فرصاً - أن تقيم معه الصفة، أودي في الله لأنه التزم بدينه، **(جَعَلَ فِتْنَةً لِلنَّاسِ كَعَذَابٍ لِلَّهِ)** معقول؟! الله امتحنك بهؤلاء الناس تجعل فتنهم كعذاب الله.

قال: **(وَأَلَيْنَ خَاءَ تَصْرُ مِنْ رَبِّكَ لَتَقُولَنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ)** عندما يأتي فتح من الله وخير يرجع، كنا مع بعضنا نحن، نحكم، هو ربط دينه بالمتغيرات، إذا الدين يحقق له مصالحه وأموالاً وقوة وعزة، وإذا يقول: أنا مسلم يصير له رفعة في الأرض **(إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ)**.

قال: **(أَوْلَيْسَ لِلَّهِ بَأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ الْمُغْلَمِينَ)** يعني أنت لك أن تدعي ما شئت، قل: أنا كنت معكم، أنا مسلم، أنا أحب الخير، قل ما شئت لكن الله يعلم ما في داخلك وسيخرجه.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ أَنْ لَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ أَصْغُهُمْ (29)

(سورة محمد)

الله تعالى تكفل أن يظهر الإنسان على حقيقته، هذه نماذج قرآنية، هي ثمانية نماذج، بهذين النموذجين نكون قد أنهينا ثمانية نماذج، هناك آية تاسعة واحدة لكن قريبة من الآيات التي تحدثنا عنها:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَبَيَّعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَّرِيدٍ (3)

(سورة الحج)

في سورة الحج نحن تحدثنا عن الأخرى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجِدُ فِي اللَّهِ عَيْبًا وَلَا يُدْرِي أَنَّهُ يُضِلُّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ لَهُ فِي الدُّنْيَا
خِزْيٌ وَنُذِيقُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَذَابَ الْحَرِيقِ (9)

(سورة الحج)

فهذه تشبه تلك، فهذا نكون قد أنهينا الآيات التسع التي تبدأ بقوله تعالى: (ومن الناس) نسأل الله تعالى أن يجعلنا: (ومن الناس من يشري نفسه ابتغاءً مَرْضَاتٍ لِلَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ).

والحمد لله رب العالمين.

بورد الدين الاسلامي